رسالة

يوحنا الثالثة

يعمل التلميذ حسنًا إن تأمّل مليًا في هذه النظرة الخاطفة الأخيرة إلى الحياة المسيحية خلال العصر الرسولي. إن ما يتكشَّف لنا بشأن واقع الأمور، عند ذاك، لهو أبعد من أن يكون نموذجيًا، لكنه يشهد لحرية إيمان نامٍ ولنشاطه.

ب. ف. وستكوت ***B.F. Westcott***

١ـ المكانة الفريدة بين الأسفار القانونية

حتى رسالة يوحنا الثالثة، السفر الأقصر بين أسفار العهد الجيد (أقصر بسطر واحد من رسالة يوحنا الثانية في الأصل)، توضِّح الحقيقة الإلهية أن «كل الكتاب... هو نافع». وعلى غرار رسالة يوحنا الثانية، فإن هذه الرسالة تحتوي أيضًا على كلمتين رئيسيتين هما المحبة والحق. ولكن، خلافًا لرسالة يوحنا الثانية التي تُظهر صلابة المحبة في رفضها استقبال الذين لا يعلِّمون الحق، تبرز رسالة يوحنا الثالثة رقَّة المحبة في مساعدتها أولئك الذين خرجوا حاملين الحق.

٢ـ الكاتب

إن الدليل الخارجي على رسالة يوحنا الثالثة هو شبيه بذاك المختص برسالة يوحنا الثانية. وهاتان الرسالتان قصيرتان وشخصيتان جدًا، الأمر الذي يجعل من السهل علينا رؤية سبب فقدان الأدلة الواسعة المدى التي لرسالة يوحنا الأولى. لقد صنَّف كل من أوريجانوس و يوسيبيوس رسالة يوحنا الثالثة في عداد ما يطلق عليه التسمية "أنتيليجومينا

Antilegomena"، أو الأسفار المشكوك في أمرها؛ بالمقابل، فقد قبلها إكليمندس وديونيسيوس، وكلاهما من الإسكندرية، كما أيضًا كيرلس الأورشليمي. وإن برهان القانون الموراتورياني هو غير واضح في هذا المجال.

إن الدليل الداخلي يربط هذه الرسالة، بشكل وثيق، برسالة يوحنا الثانية، وبرسالة يوحنا الأولى أيضًا. فكل واحدة من مجموعة هذه الرسائل الثلاث، تعمل على دعم صحة الرسالتين الأخريين.

لا سبب يوجِب التشكيك في التقليد القائل إن يوحنا الرسول كتب رسالة يوحنا الثالثة إلى جانب كل من الرسالتين الأخريين المنسوبتين إليه.

٣- التاريخ

لقد تم اقتراح تاريخين عامين، وذلك على غرار كل من رسالتي يوحنا الأولى والثانية. فإذا كان يوحنا قد كتب من أورشليم قبل خراب هذه المدينة، فيرجّح أن تكون الرسالة قد كُتبت في الستينات. لكن، ثمة إجماع أكبر بين الدارسين على رد الرسالة إلى حقبة لاحقة، حين عاش يوحنا وخدم في أفسس. وهكذا تم القبول على نطاق واسع بتاريخ يتراوح بين العامين ٨٥ و ٩٠م.

٤- الخلفية والموضوع

إن الخلفية التاريخية لهذه الرسالة القصيرة تزودنا بنظرة خاطفة وحيّة عن الحياة الكنسية خلال النصف الأخير من القرن الأول. فالرسول يصور لنا، بكلمات قليلة، ثلاث شخصيات: غايس المضيف والروحي، وديمتريوس المستحق المديح، وديوتريفس الأناني وغير المحب. وديوتريفس هذا يوضح لنا الشخصية القوية والعنيدة التي قد تظهر تحت أي نظام كنسي. ومن جهة أخرى، قد يصور لنا ميل أحد الشيوخ إلى التقدم على أترابه الشيوخ الذين كانوا قبلاً مساوين له، وإلى التسلّط عليهم. وهذه النزعة الأخيرة تطورت حتى آلت، ابتداء من القرن الثاني، إلى ابتكار منصب "الأسقف الواحد" في الكنيسة (حكم ناظر أو أسقف واحد متسلّط).

التقسيم

١. التحية	(ع١-٤)
٢. غايس التقي	(ع٥-٨)
٣. ديوتريفس المستبد	(ع ٩-١١)
٤. ديمتريوس الوَرع	(ع ١٢)
٥. خطّة الرسول وبركته	(ع١٣، ١٤)

التفسير

١ـ التحية (ع١-٤)

ع ١ يوحنا يتكلّم عن نفسه هنا، كما في الرسالة الثانية بصفته **الشيخ**. وهو يوجّه الرسالة إلى **غايس الحبيب الذي يحبه يوحنا بالحق**. ومع أننا لا نعلم هل هذا هو غايس المذكور في رومية ١٦: ٢٣، أو غايس المذكور في أعمال ٢٠: ٤، يدهشنا كم نتعلم في هذه الأعداد القليلة. أولاً يبدو لنا أنه كان مؤمنًا محبوبًا جدًا، ورجلاً كانت حياته بجملتها تمدحه لدى المؤمنين زملائه.

ع ٢ لكن يظهر لنا أيضًا أنه لم يكون متعافيًا تمامًا، هذا لأن يوحنا يتمنّى له أن تكون صحته الجسدية على مستوى نشاطه الروحي. وعندما يقول يوحنا: **في كل شيء أروم أن تكون ناجحًا**، يُشكّ في أنه كان يفكر هنا في غنى أو ازدهار مادي. بل يقصد بالحري الصحة الجسدية، كما توحي بذلك العبارة التالية: **وصحيحًا**.

هل نصبو نحن أيضًا بدورنا إلى أن تكون حالتنا الجسدية ملائمة لحالتنا الروحية؟ ألا يصح القول فينا، وا أسفاه، إننا نُعير أجسادنا اهتمامًا أكثر من أرواحنا؟ وهذا ما دفع ف.ب.ماير *F.B.Meyer* إلى التعليق على هذا بكلام طريف، إذ قال:

> إنه لمن غير المرغوب فيه أن نعبر عن التمني المذكور في العدد الثاني بالنسبة إلى أصدقائنا جميعهم، هذا لأنه لو كانت أجسادهم لتتلاءم مع حالة أرواحهم، لأصيبوا فجأة باعتلال في صحتهم.

يناقض العدد ٢، بشكل مباشر، ما يعلمه أولئك الذين يُقال لهم " الشافون بالإيمان". إنهم يعتبرون أن كل مرض ينتج من الخطية في الحياة، وإن كل حالة عدم شفاء، مردّها إلى عدم الإيمان. وهذا بالطبع لم يكن يصح على حالة غايس. فهو كان في حالة روحية جيدة، على الرغم من كون حالته الجسدية على غير ما يُرام. وهذا يظهر عدم إمكانية الحكم على حالة المرء الروحية من زاوية حالته الجسدية.

ع ٣ فرح الرسول جدًا عندما **حضر بعض الإخوة وشهدوا بالحق الذي** كان **في** غايس، وكيف أنه **يسلك بالحق**. إنه لأمر حسن أن يكون الحق فينا، لكن من الأفضل أن نظهر الحق في حياتنا. ينبغي لنا لا أن نمسك بالحق وحسب، بل أن ندع الحق يمسك بنا. فالناس يفضّلون رؤية عظة على سماعها. وفي عصرنا الذي يتّسم بالحقائق والبراهين، ليس ما هو أعظم قيمة، في نظر الله، من الحياة المقدسة.

ع ٤ كان هذا الأمر في منتهى الأهمية بالنسبة إلى يوحنا، حتى قال: «**ليس لي فرح أعظم من هذا أن أسمع عن أولادي أنهم يسلكون في الحق**». لربما نظر معظمنا إلى ربح النفوس كأعظم فرح في الحياة المسيحية. وفعلاً إنه لأمر رائع أن نرى رجالاً ونساء ينتقلون من سلطان الظلمة إلى ملكوت ابن محبته. لكن من يستطيع أن يقيس مقدار الحزن القلبي الذي يتولّد فينا عند رؤية أولئك الذين ادّعوا اختبار الخلاص يرجعون إلى نمط حياتهم السالفة، ككلب عاد إلى قيئه، وكخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة؟ ومن جهة أخرى، ما أروع أن نعاين أولادنا الروحيين يعيشون للرب، ويذهبون من نعمة إلى نعمة. وهذا يؤكد، من جديد، ضرورة عمل المتابعة في كل نشاطاتنا التبشيرية.

٢ـ غايس التقي (ع٥-٨)

ع **٥** كان غايس يحصل على متعة خاصة من تشريع أبواب بيته أمام الذين خرجوا مبشّرين بالإنجيل. وقد بسط ضيافته الطيّبة ليس في وجه الذين عرفهم وحسب، بل إلى **الغرباء** أيضًا. ويذكر يوحنا أنه كان أمينًا في خدمته. كما يظهر لنا من العهد الجديد أن الضيافة هي أمر هام جدًّا في نظر الله. فإذا قبلنا في بيوتنا شعب الرب، كأننا بذلك نقبل الرب نفسه (مت٢٥: ٤٠). وبالمقابل، كل تقصير من جهة الاحتفاء بخدام الرب، يعتبر تقصيرًا من نحو الرب نفسه (مت٢٥: ٤٥). ثمة قوم، بإضافتهم الغرباء، «أضافوا ملائكة وهم لا يدرون» (عب١٣: ٢). وكثيرون هم الذين يشهدون عن أنه، من طريق ممارسة الضيافة، تحوّلت وجبات الطعام إلى مناسبات آلت إلى الخير الروحي الجزيل (لو٢٤: ٢٩-٣٥)، والأولاد قبلوا الإيمان، والعائلات التصقت أكثر بالرب.

ع **٦** لا يخلوا الأمر من مكافآت. فلطف غايس عُرف عند جميع الذين في **الكنيسة**. لكن أهم من هذا كله، حُفظ اسمه في كلمة الله المقدسة كمن كان صاحب بيت مفتوح وقلب مفتوح. وأكثر من هذا، فإن غايس سيكافأ أمام كرسي المسيح، هذا «لأن من يقبل نبيًا باسم نبي فأجر نبي يأخذ» (مت١٠: ٤١). وسوف يشارك في المكافأة التي ستكون من نصيب جميع أولئك المبشّرين الذين استضافهم. إنه أمر حسن ويليق بجميع الذين لا يستطيعون أن يبشّروا أن يبقوا يتذكرون أنه باستطاعتهم الحصول على المكافأة الخاصة بالمبشر لدى استضافتهم مبشرين باسم الرب. فالله سيعوّض عن كل الأعمال الصالحة. كما أن لطفه تعالى سيتوّج لطف الناس.

والآن يذكّر يوحنا غايس بأنه يفعل حسنًا إذا **شيعهم كما يحق لله**. إن تشييعهم لم يكن ليقتصر على مجرد وداع ودّي، بل كان ينبغي تزويدهم بما يحتاجون إليه في الطريق. هذا، ولاشكّ، يضع أمامنا مستوى عاليًا من نجهة ضرورة إشراك المبشرين والمعلّمين في مقتنياتنا.

ع **٧** يذكر الرسول هنا سببًا كامنًا وراء مساعده غايس لهؤلاء المبشرين الجوّالين: **لأنهم من أجل اسمه خرجوا وهم لا يأخذون شيئًا من الأمم**. فهؤلاء الرجال كانوا يعتمدون على الرب وحده لسد احتياجاتهم. لم يكونوا يقبلون أي دعم لهم من غير المؤمنين، لأن قبولهم لهذا الدعم يوحي بأن سيدهم هو أفقر من أن يتمكن من إعالتهم. كما أنه قد يولّد لدى غير المخلّصين شعورًا كاذبًا من البرّ الذاتي يستريحون عليه. فأي توبيخ هذا على الأساليب التي يعتمدها، في أيامنا، العالم المسيحي لجمع التبرعات. وكم يجب أن يذكّرنا هذا بالضرورة الموضوعة علينا من نحو خدّام الرب، أولئك الذين خرجوا بالإيمان بالله الحي والذين لا يعرّفون باحتياجاتهم أحدًا إلاّ الرب.

ع **٨** فنحن ينبغي لنا أن **نقبل** أمثال هؤلاء. لكي نكون عاملين معهم بالحق. فقبولهم يعني فعل كل شيء ممكن لمساعدتهم ونحن بذلك نساعد الحق في امتداده وتقدمه.

٣ـ ديوتريفس المستبّد (ع٩-١١)

ع **٩** كان يوحنا على ما يبدو، قد كتب رسالة بهذا الخصوص **إلى الكنيسة**، لكن رسالته تلك اعترض سبيلها رجل اسمه **ديوتريفس** كانت لديه نظرة مُبالغ فيها من جهة أهميته. كان طاغية مستبدًّا بكل معنى الكلمة داخل

الجماعة. كانت خطيَّته الكبرياء والذات المنتفخة، وغيرة عنيفة على ما كان يعتبره من حقوقه الخاصة والتي كان، ولاشك، يدافع عنها تحت ستارة "استقلال الكنيسة المحلية وحكمها الذاتي". لقد نسي ديوتريفس أن المسيح هو رأس الكنيسة، إذا كان قد سبق له أن عرف هذا الأمر. لقد سها أيضًا عن حقيقة أن الروح القدس هو نائب المسيح داخل الكنيسة. وهكذا لا يحق لأي إنسان أن يتسلَّم زمام الأمور، ويتَّخذ قرارات، ويقبل أو يرفض. إن تصرفًا كهذا هو من الصنف البابوي، والله يكرهه. كان ديوتريفس، ولاشك، يُبرِّر تصرفه هذا على أساس أنَّه يحامي عن الحق. لكنه كان يكذب بالطبع. لقد كان يسيء إلى الحق بشكل لا يوصف، وذلك برفضه الرسول، متذرِّعًا بالأمانة لله، ولم يكن يرفض يوحنا وحده، بل بعض الإخوة الآخرين أيضًا.

ع **١٠** لم يكتفِ برفض هؤلاء المؤمنين الحقيقيين، بل أصدر حرمه أيضًا بحق الذين يقبلونهم. لقد كان رجلاً مهووسًا بالعظمة، يعمل **هاذرًا** على خدَّام الله الحقيقيِّين **بأقوال خبيثة**. ويوحنا سيبقى يتذكَّره في أثناء زيارته التالية التي سيقوم بها إلى هذه الجماعة. إن أمثال هؤلاء البابوات الذين نصَّبوا أنفسهم لا يقوون على الصمود في وجه توبيخات كلمة الله جهرًا لهم. فاستمراريتهم في السلطة تعتمد على ما يعقدونه من اجتماعات سرية وعلى حكمهم المتَّسم بالخوف والتهويل.

ع **١١** ناشد الرسول غايس الابتعاد عن هذا التصرف **الشرير** من أجل اتِّباع **الخير**. فالأعمال الصالحة هي دليل علاقة بالله. وعليه، يبدو أن الرسول يشكِّك هنا، بكل جدية، في حالة ديوتريفس الروحية.

٤- ديمتريوس الورع (ع١٢)

لعلّ ديمتريوس كان حامل هذه الرسالة. وعلى كل حال، كان مشهودًا له من الجميع ومن الحق نفسه. يقول ف.ب.هول *F.B.Hole*:

> لنلاحظ أنه لم يكن هو الذي شهد للحق، بل الحق هو الذي شهد له. لم يكن ديمتريوس المقياس لاختبار الحق، لكن الحق كان المقياس الذي على أساسه وضع ديمتريوس على المحك. وإذ تم اختباره على هذا النحو، وُجد مزكّى.

٥- خطة الرسول وبركته (ع١٣، ١٤)

يختم يوحنا بالطريقة عينها تقريبًا لاختتامه الرسالة الثانية، مؤجِّلاً البحث حتى اللقاء بغايس والتحدث إليه **فمًا لفم**. نحن مديونون له بهاتين الرسالتين حيث يلقي لنا أضواء على الحياة المسيحية في بداية عهدها، ويقدِّم لشعب الله تعاليم خالدة. وقريبًا، سوف نتحدَّث وجهًا لوجه في السماء، وعندئذ سندرك، بشكل أكمل، الغموض الذي اكتنف الإعلان الإلهي من حين إلى آخر.